

الوافي في الوفيات

وقيل لي إنه لنما عمر الأمير سيف الدين تنكر C الجامع الذي له بدمشق كان قد عينوا له شخصاً من الحنفية يلعب الكشك ليكون خطيباً فلما كان يوم وهو يمشي في الجامع المذكور أجري له ذكر الشيخ نجم الدين ومجموع فضائله وأنه في الحنفية مثل الشيخ كمال الدين ابن الزمكاني في الشافعية فأحضره واجتمع به وتحدثا ثم قال له وهم في الجامع يمشون : أيش تقول في هذا الجامع ؟ فقال : مليح وصحن مليح لكن ما يليق أن يكون فيه كشك . فأعجب ذلك الأمير سيف الدين تنكر وأمر له بخطابه الجامع المذكور . ثم بعد مدة رسم له بتدريس الركنية فباشرها مديدة ثم نزل عنها وقال : لها شرط لا أقوم به ومعلومها في الشهر جملة تركه تورعاً .

وهو مع هذه العلوم يعرف الإسطرلاب جيداً ويحل التقاويم فيما أظن . وهو فريد عصره يشغل في المختصر لابن الحاجب وفي مذهبه الحنفي وفي الحاجبية والمقرب ويعرفهما جيداً إلى الغاية وفي ضوء المصباح وغيره من كتب المعاني والبيان . مولده ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثمان وستين وست مائة نقلت مولده ونسبه من خطه . ومن شعره في مليحة اسمها قلوب : من السريع .

عائني في حبكم عاذل ... يزعم نصحي وهو فيه كذوب .

وقال : ما في قلبك اذكره لي ... فقلت : في قلبي المعنى قلوب .

ومنه في مليح نحوي : من السريع .

أضمرت في القلب هوى شادنٍ ... مشغلٍ في النحو لا ينصف .

وصفت ما أضمرت يوماً له ... فقال لي : المضمّر لا يوصف .

وأنشدني من لفظه لنفسه من أبيات كتبها جواباً إلى الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليماني : من المديد .

بأبي بكر خصصت بها ... من أخي الأفضل والمنن .

أقبلت تختال في حلل ... وشيها من صنعة اليماني .

فرعها يملئ خلاخلها ... ما يقول القرط في الأذن .

وكتبت إليه لما وضعت هذا المعجم أطلب منه ما أستعين به على ترجمته العادة في مثل ذلك ومنه : من الخفيف .

يا مفيد الوري معاني المعالي ... وإمام الأنام في كل علم .

إن لي معجماً كأفق فسيح ... أشتي أن يزان منك بنجم .

فتأخر جوابه فكتبت إليه ثانياً : من الطويل .
ظفرت بوعد منك بلغني المنى ... وجودك نجم الدين ليس يحول .
وقد طال ليلى لانتظار وروده ... ولي الذي يرعى النجوم طويل .
وكتبت معه سؤالاً يتعلق بالمعاني في قوله تعالى : " حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما
أهلها " وهو : من الطويل .
ألا إنما القرآن أكبر معجز ... لأفضل من يهدى به الثقلان .
ومنه جملة الإعجاز كون اختصاره ... بإيجاز ألفاظ وبسط معان .
ولكنني في الكهف أبصرت آية ... بها الفكر في طول الزمان عناني .
وما ذاك إلا استطعما أهلها فقد ... نرى استطعما هم مثله ببيان .
فما الحكمة الغراء في وضع طاهر ... مكان ضمير إن ذلك لشان .
فكتب إلي بخطه مجيباً عن الأول والثاني : من مجزوء الرجز على ا توكلت .
يا سائلي عن نسبي ... ومولدي وأدبي .
وما قرأت في العلو ... م من شريف الكتب .
وما أخذت ذاك عنه من شيوخ مذهبي .
وغيرهم ممن حوى ... سر كلام العرب .
وما الذي سمعته ... عن النبي العربي .
صلى عليه ا ما اح ... لولك جنح غيهب .
وذكرت شيئاً صغته ... من شعري المنتخب .
وما الذي صنفته ... من كتب وخطب .
لولا وجوب حرمة ال ... قصد ورعي الرتب .
ما قلت ذاك خشية ... من حاسد مؤنب .
يقول إنني قلته ... مفتخراً بحسبي .
لكنما البخل بما ... سئلت لا يحسن بي .
والمقتضى مني له ... لا يأتلي في الطلب .
وهو خليل في الرخا ... وعدة في الكرب .
وهمه في جمع شم ... ل الفضل لا في الشنب .
وما صلاح الدين إل ... ا في اقتناء القرب .
هذا الذي أوجب لي ... يا صاح كشف الحجب